الامام الخميني (قدس سره الشريف) ثورة وفكر تجذرت من الطف وامتدت لتلاقي ظهور الامام الحجة عليه السلام وعجل الله فرجه الشريف

■ **بقلم الكاتب قدوري عبد العامري**
جمهورية العراق

عندما يريد الكاتب المنصف ان يذكر الامام الخميني (قدس) مبتعدا عن الموثرات التعصبية العرقية والفكرية والمذهبية لايستطيع ان يخفي الواقع وحقيقة النضال والجهاد الذي اكتسبه الامام من انحداره النسبي الثوري والجهادي ورمزه في التضحية والده الذي قدم نفسه قربانا من اجل الحق والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي رسم به طريقه في اكثر الحقبات ظلاما واكثر الازمان تحديا لبيضة الاسلام الذي حاربته الايدلوجيات بشتى انواع الحروب , كل الاحزاب وضعت الفكر الاسلامي هدفا يضربون من خلاله الاسلام برمته فكان الامام الخميني فكرا بذاته وثورة تتخطى كل الصعاب في زمن قل فيه الناصر , لم ينصفه احدا من العالم الاسلامي , حاربه المسلمون في عقر دارهم عندما لجأ اليهم وكان من العراق نموذجا لهذا العداء وما تصرفت به الحكومة الكويتية التي رفضت استقباله لاجئ , حيث لم تضع للاسلام اعتبارا فوق علاقاتها بقوى الاستكبار التي كانت تفرض هيمنتها السياسية والاقتصادية وجعلت الكثير من بلدان العالم عبيدا لها بشكل مباشر او غير مباشر , كما كان لفلسطين خصوصية واخذت من تفكير الامام مأخذها , فقد اعتبر الامام تحرير القدس احد اهم اهدافه التي يسعى الى تحقيقها واوصى بها المسلمين بكل انحاء المعمورة ممن لازالوا يحتفظون بكرامة الاسلام وفكره الصحيح .

في صباي عاصرت التحركات التي كانت في خواتيم الثورة التي بدات في عام ١٩٦٣ لتحقق اهدافها المنشودة عام ١٩٧٩ يعلن الامام الجمهورية الاسلامية الايرانية التي وضع اسسها ومنهاجها الفكري والاقتصادي وعلاقاتها السياسية بعيدا عن الارتماء بأحضان قوى الاستكبار التي تضع في اولويات نجاح اي ثورة في العالم مد اذرع الشر لانتزاع اهداف الثورة التي سعت الى تحقيقها وافراغها من محتواها , من ذكرياتي مع ثورة الامام الخميني (قدس) كنت في الخامسة عشر من العمر في بيئة ريفية وكانت عائلتي من المتعلمين الذين يميزون بين الحق والباطل , كنت اسمع اعمامي وهم يسمعون الاخبار في جهاز راديو صغير , يضطرون الى وضعه على اذانهم كي لاتسمع الاذان التي تسعى لتخريب الفكر وتسويس الذهن باتجاه مصالحهم , المثقف كان يتابع ويتامل خيرا لان الثورة الاسلامية التي قادها الامام لم تكن وليدة صدفة وانما امر مخطط له , اهدافه واضحة المعالم , كان تاسيس دولة العدل الذي امتدت افكارها من ثورة الامام الحسين عليه السلام حيث اعتبره

الامام الخميني دليله واخذ العبرة من ثورة الامام الحسين ليضحي بابنه السيد الشهيد مصطفى الخميني شابا وكان محتسبا عند الله متاسيا بسيد الشهداء عندما قدم ابناءه ليخطوا بدمهم الطاهر طريق الحرية التي لم يعرف معناه الا من جعل من الاحرار عنوانا لقيامه وثورته .

بعد هذه المقدمة التي لم تفي ولم تحط بهذه الشخصية الا القليل من عطائها نذهب الى ما عبر عنها مفكروا العالم الغربي وبماذا وصفوا الامام الخميني (قدس) لقد كان لظهور الإمام الخميني (قدس) على مسرح السياسة الدولية قبل نجاح الثورة الإسلامية بقليل اثر الصدمة في الوجدان الغربي، سواء على الصعيد الرسمي أو الشعبي، فقد أدهشهم أن يروا رجلاً يخرج من مؤسسة علمية عريقة كانوا يعتبرونها معقلاً من معاقل الجمود والغرق في الأجواء العلمية والروحية ، يقود ثورة عظيمة ويؤسس دولة عصرية تقوم على أساس أحكام الإسلام وتخاطب الغرب ليس من موقع الند فحسب ، بل من موقع من يحمل رسالة ذات اعتمادات كونية. وما برحت وسائل الإعلام الغربية تصفه تارة بأنه (هزّ العالم) وأخرى بأنه غيّر مجرى التاريخ، وإن الثورة التي قادها تعتبر إلى جانب الثورتين الفرنسية والبلشفية، أهم ثلاث ثورات رسمت المسار السياسي للعصر الحديث وصبغت معالمه الحضارية.

إضافة إلى ذلك يوجد كتاب باللغة الانكليزية يتضمن أهم الأفكار والمفاهيم السياسية والعرفانية والجهادية للإمام الخميني (قدس) صدر عام ١٩٨١ في الولايات المتحدة ويحمل اسم (الإسلام والثورة، كتابات وبيانات الإمام الخميني)، وفي هذا الكتاب يترجم حامد الغار أهم خطابات الإمام وبياناته، وكذلك الكتابات الأخلاقية والعرفانية للإمام (كالجهاد الأكبر) , وأيضاً كتاب (الحكومة الإسلامية) ويعتبر كتاب حامد الغار أهم مصدر عن أفكار الإمام الخميني في الغرب، واليه يرجع الباحثون عند التحدث عن الإمام أو الثورة الإسلامية.

ركز بروس مزليش على العوامل التي كان لها تأثير كبير على شخصية الإمام الخميني، وأول هذه العوامل ما يسميه (الغرام العائلي) أي أنّ الإمام وهو سليل عترة النبي(ص) ، له علاقة عاطفية جارفة بأهل البيت (ع) ، بأن ما تعرضوا له من إقصاء عن حقهم والظلم الذي لاقوه وخاصة شهادة الإمامين علي والحسين(عليهما السلام) ، كل هذه الأمور كان لها دور حاسم في صياغة شخصيته وبنائه النفسي ويضيف : أنّ هذه المسألة ، إضافة إلى الخلفية العرفانية للإمام، تعطيانه شعوراً بالصواب المطلق والحق المطلق، وإن مشربه العرفاني هذا بالذات يعطيه طاقة روحية كبيرة تساعده على مواجهة الأعداء ومصاعب الحياة ،ويختم مزليش بحثه بالقول أن الإمام الخميني هو (سيد اختيار اللحظة المناسبة للقيام بعمل سياسي ما، وان الثورة الإسلامية وراءها (ثورة مخفية) يقودها الإمام لجعل الإسلام يقود العالم) .

وماقاله الكاتب روبن وودزورث كارلسن: (مكثنا هناك قرابة ٤٥ دقيقة قبل أن تظهر علامات تشير إلى أن الإمام على وشك الدخول علينا، كانت الإشارة واضحة ، لقد دخل من الباب عدد من العلماء المعممين وأخطروا رجل الدين الذي كان بالانتظار على المنصة أنّ الرئيس الأعلى والقائد الإمام في طريقه إلينا، وحين ظهر الإمام الخميني عند مدخل المنصة قفز الجميع ناهضين مهللين: خميني.. خميني.. خميني.. في صوت واحد ينبض بفرح، ويشيد بتقدير ما شهدت أسمى منه يؤدى لمخلوق آخر..! وبدا كل حاضر وقد فاجأته موجة غامرة دافقة من الحب والتردد.. وكأني بهم يعلنون من أعماق قلوبهم في تأكيد مطلق ويقين أنهم يجلون ويكرمون من هو أهل له عند الله.. حقاً استطيع القول أنّ انفجار النشوة والعظمة الذي حُيّي به الإمام لم يكن في ذاته رد فعل يعكس ما في أذهان الجماهير عن الإمام فحسب.. بل كان فيضاً طبيعياً من التسبيح والحمد والابتهال أطلقه شخصية هذا الرجل الغامرة وفخامتها التي لا تقاوم.. وما إن فتح الباب له أحسست بإعصار من الطاقة يتدفق خلال الباب ، وفي عباءته البنية اللون.. وعمامته السوداء.. ولحيته البيضاء، رمق كل جزء بالمبنى، وجذب كل الأنظار إليه، وشعرت كأننا تضاءلنا جميعاً في حضرته حتى كأنه لم يبق في القاعة شيء سواه، لقد كان كتلة من النور دافقة نفذت إلى بصيرة كل حاضر ومشاعره) . ويضيف قائلاً: (لقد كان إعصاراً، ولكن ما أن يستقر بصرك حتى تدرك للتوّ أنّ هناك مركز سكون مطلق داخل هذا الإعصار، فبينما هو حاد حازم ومسيطر، تجده أيضاً هادئاً ومنصتاً.. لقد كان في داخله شيء راسخ وثابت.. ذلك الشيء الثابت هو ذاك الشيء ذاته الذي حرك دولة إيران برمتها، أهذا إنسان عادي؟! حقيقة الأمر أني قابلت عدداً ممن يقال عنهم أنهم قدّيسون كالدالاي لاما مثلاً، والرهبان البوذيين والحكماء الهنود.. فما وجدت لأحد ذاتاً تضاهي ذات الخميني بحضورها المزود بطاقة عجيبة من النشوة،

> **كان لفلسطين خصوصية واخذت من تفكير الامام مأخذها , فقد اعتبر الامام تحرير القدس احد اهم اهدافه التي يسعى الى تحقيقها واوصى بها المسلمين بكل انحاء المعمورة ممن لازالوا يحتفظون بكرامة الاسلام وفكره الصحيح .**

فقد بات جلياً لكل من يعي ويرى أن لا شائبة على كمال الخميني وأمانته.. ولا على ما يزعمه شعبه من أن الخميني قد اجتاز ذاتية الإنسان.. عادية كانت أو غير عادية.. وان ذاته استقرت في شيء من كمال مطلق لا قيد له.. وحامل هذا القدر من الكمال في الهواء.. حتى حركة جسمه وحركة يديه كانت تعبيراً عن هذا الكمال) .

يبدأ الكاتب مايكل كيمل بالقول : إنّ الثورة في إيران مثلت لغزاً للمحللين السياسيين والاجتماعيين، فمع أنها بدت مناهضة للإمبريالية وخصوصاً أميركا، فقد كانت لا تقل عداء للاتحاد السوفيتي والاستراتيجيات الاشتراكية في السياسة والاقتصاد، ومع أنها بدت ثورة شعبية تعتمد على تعبئة الناس، حيث شملت ربما أكبر التظاهرات الاجتماعية التي عرفها التاريخ البشري (أكثر من مليوني متظاهر في طهران وحدها ، وملايين أخرى في غيرها من المدن) ، فإن اغلب المشاركين فيها كانوا من سكان المدن، على عكس نمط ثورات العالم الثالث التي يشكل الفلاحون وسكان الأرياف بشكل عام عنصرها الأساس. وما زاد الوضع تعقيداً ـ يضيف كيمل ـ شخصية الإمام الخميني التي كان لها دور حاسم في نجاح الثورة وفي مسار الدولة الجديدة.

شكّلت الثورة الإسلاميةُ في إيرانَ منعطفاً بارزاً في التاريخِ المعاصر، كما شكّلت شخصيةُ الإمامِ الخميني(قدس) نموذجاً فريداً للمصلحِ أو الثائرِ، نظراً للصفاتِ الجليلةِ التي اتسمت به شخصيته ، على المستوى الشخصيِّ أو القيادي .

شكّلت الثورة الإسلاميةُ في إيرانَ منعطفاً بارزاً في التاريخِ المعاصر، كما شكّلت شخصيةُ الإمامِ الخميني(قدس) نموذجاً فريداً للمصلحِ أو الثائرِ، نظراً للصفاتِ الجليلةِ التي اتسمت به شخصيته ، على المستوى الشخصيِّ أو القيادي .

وقبل الدخول إلى صلب الموضوع أشير إلى رأي الإمام الخميني في الثورة الإسلامية، إذ يعتبرها امتداداً واستمراراً لنهضة الأنبياء (عليهم السلام) الذين عملوا على خطين متكاملين لإصلاح المسيرة الإنسانية : خط إرساء مبادئ التوحيد، وخط إحلال العدالة الاجتماعية بالتحرر من نير الظالمين،

فيقول الإمام الخميني (قدس): ((إن مبدأ التوحيد يعلمنا أنه يجب على الإنسان أن يخضع للذات الإلهية الحقة فقط وأن لا يطيع أي إنسان إلا أن تكون طاعته طاعة الخالق)) .

فمن هذا المنطلق الرسالي انبرى الإمام

الراحل في مقارعة النظام الشاهنشاهي الذي عمل على تغريب المجتمع الإيراني ، وحاول طمس هويته الإسلامية ، ورهن مقدرات البلاد الاقتصادية للمستعمر، وربط قراراته السياسية والمصيرية بفلك السياسة الأميركية، ثم عاد الإمام الخميني وعاد الإنسان المسلم إلى إسلامه الحضاري.

تزخر خطب الإمام الخميني وكتاباته وأقواله بالكلمات والعبارات القرآنية التي دبت فيها الحياة مجدداً في هذا العصر .

فقد كان همُّه إخراج القرآن الكريم لينبعث من جديد في الحياة اليومية على كافة المستويات، واللافت في خطاباته كلمات لم تكن مألوفة من قبل في قاموس السياسيين الإسلاميين، مثل: الشيطان الأكبر، والطواغيت، والاستكبار، والاستضعاف، إلى غيرها من الكلمات التي شكّلت كل منها موقفاً بحد ذاته . والبحث هنا عن الاستكبار والاستضعاف والصراع بينهما، أو الأصح بين المستكبرين والمستضعفين والصراع بينهما بحسب رأي الإمام (قدس سره):

للاستكبار صور ودرجات تظهر بحسب موقع المستكبر في الخريطة العالمية والمحلية، وكذلك الحال بالنسبة إلى المستضعفين ومكامن ضعفهم وقوتهم.

إن الصراع بين المستكبرين والمستضعفين صراع دائم بدوام الحياة.

قال الإمام الخميني (قدس سره): ((كان المستضعفون طوال التاريخ إلى جانب الأنبياء وأوقفوا المستكبرين عند حدهم)) .

ورأى إن الاستكبار في العصر الحديث يتمثل بأميركا بشكل أساسي، والاتحاد السوفيتي قبل سقوطه، والأيادي العميلة المحلية لكليهما. فنبّه في خطبه وبياناته أن أميركا هي العدو الأول للشعوب المستضعفة فسماها الشيطان الأكبر، منطلقاً في هذا لا من عقدة نفسية اتجاه أميركا، بل من السياسة السلطوية الأميركية تجاه الدول المستضعفة، ولا سيما الدول الإسلامية، تلك السياسة التي خلّفت مآسٍ ومشاكل متفاقمة، أدخلت الشعوب المستضعفة ودولها في دوامة العجز الاقتصادي والمشاكل الاجتماعية والهزات السياسية التي لا تنتهي فصولها، ولذلك قال رحمه الله: ((أميركا هي العدو الأول للشعوب المستضعفة)) ، وذلك بسبب سياستها كما أسلفنا، فكان ينبّه دوماً لمخططات الاستكبار في الاستيلاء على مقدرات الدول والشعوب المستضعفة، و يحثهم على مقارعة الاستكبار بما أمكن من الوسائل، وعلى التحرر من تبعات الصلة به، ومن هيمنته على المستوى السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ومن جملة ما قاله الإمام في هذا الصدد: ((أوصي الشعوب الشريفة المظلومة والشعب الإيراني العزيز أن لا يحيدوا عن الطريق المستقيم الذي لا يرتبط بالغرب الكافر الظالم ولا بالشرق الملحد، وأن يظلوا على الصراط المستقيم... بثبات وعزم، وأن لا يدعوا الأيادي الخبيثة لعملاء القوى الكبرى في الخارج أو الداخل الذين هم أسوأ من الأجانب تزعزع إيمانهم وإرادتهم الصلبة)) .

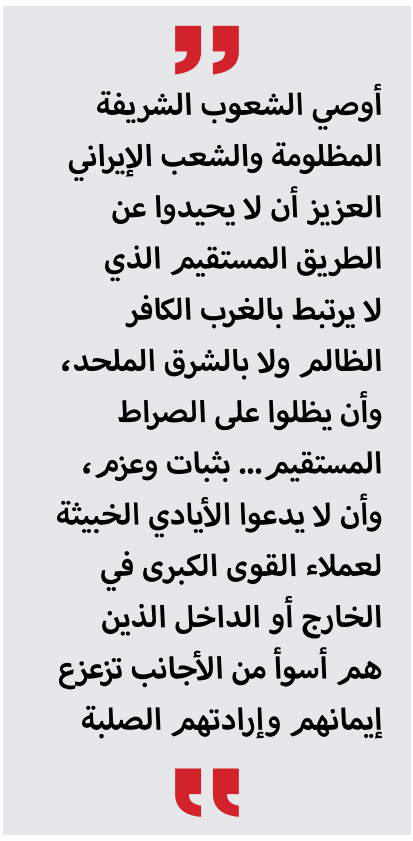

وإذا مظهر الاستكبار جلياً على مستوى السياسة والاقتصاد فإن الإمام أولى المستوى الثقافي أو الجانب الثقافي من الاستكبار اهتماماً كبيراً لمحاربته، ذلك لأن الغزو الثقافي، ولا سيما عبر وسائل الإعلام، يعمل على تدمير بنية المجتمع الثقافية، وما يستتبع ذلك من إتباع تقاليد الغربيين وعاداتهم في المأكل والمشرب والملبس وأساليب الحياة كافة، إذ يتوهم المتغرّبون أن الأخذ بتكنولوجيا الغرب يلزم محاكاة العادات الاجتماعية المتبعة عندهم .

ويمتد الاستكبار ليشمل بعض مناهج وطرق التفكير عند عدد من علماء الغرب، فوجود روح الاستكبار أو روح العنصرية في بعض جوانب الثقافة الغربية بارزة للعيان، فهي موجودة في أفكار كثير من علمائهم أمثال نيتشه وهيجل وكانت وفرويد وزيغفريد وأرنست أرنان الذي يقول: أن الغربي بطبيعته رب عمل والشرقي عامل !

وقد وعى الإمام الخميني أهمية الثقافة في بناء المجتمعات أو في هدمها، فقال: ((مما لاشك فيه أن ثقافة أي مجتمع تُعد أهم وأعظم عنصر يؤثر بشكل أساسي في كيان ذلك المجتمع، وأساساً فإن ثقافة أي مجتمع إنما تشكل هوية ووجود ذلك المجتمع، وإن الانحراف الثقافي يؤدي إلى خواء ذلك المجتمع وشعوره بالفراغ، على الرغم من أنه قد يكون قوياً ومقتدراً في المجال الاقتصادي والسياسي والصناعي والعسكري)) .

أن الاستكبار العالمي يتمثل اليوم بالغرب كقوة سياسية واقتصادية تعمل على نهب ثرواتنا وممتلكاتنا وأراضينا المحتلة، في ظل شعارات براقة وجوفاء بلا روح مُمِدّة للحياة كالديمقراطية وحقوق الإنسان ومحاربة الشر واستتباب الأمن وإنقاذ الشعوب وفتح أبواب الحرية و... واكبر دليل على عدم تطابق الشعارات ومعانيها الحقيقية ما يحصل في بلداننا الإسلامية

الأصيلة من نهب وقتل وهدم للبيوت وإهانة المقدسات، وتعذيب السجناء في السجون بأبشع أنواع التعذيب الجسدي والنفسي، وسكوت العالم الغربي دولاً وشعوباً بل ومساندتهم للمعتدي أحياناً، وتعتبر كل هذه التحديات حقاً مشروعاً في طريق توعية الشعوب المستضعفة وإرجاع حقوقها المستلبة، وكل من يطالب بوقف العمليات الإجرامية، فهو بعيد عن معرفة هذه الشعارات ومعانيها الحقيقية، وترتكب هذه الجنايات في البلدان الإسلامية على مسمع ومرأى كل الدول الغربية، وعلى رأسها أميركا، التي تدعم وتباشر بكل ما يحصل في بعض البلاد الإسلامية، فإذا كان الإمام قد ركز على الاستكبار العالمي المتمثل بالغرب. فإنه لم يغفل عن المستكبرين في الشرق وداخل الدول المستضعفة ذاتها، وربما بين أفرادها.

والمستضعفون كما رأينا، هم الشعوب والجماعات والأمم والدول والأفراد الذين، هم عرضة لأطماع المستكبرين، وهذا يعني أنه قد صنّف العالم إلى عالم مستكبر وآخر مستضعف، دون خصوصية الجغرافيا والحضارة، مع تأكيده على أن أميركا تمثل الاستكبار العالمي، وذلك للجرائم الظاهرة والخفية التي تقترفها بحق الشعوب المستضعفة.

ركز الامام الخميني (قدس سره) على القضية الفلسطينية واعتبرها عنوانا للجهاد والنضال ضد قوى الاستكبار وان مظلومية الشعب الفلسطيني نموذجا حيا للشعوب المستضعفة على وجه المعمورة وان المطالبة بحقوق المظلومين تبأ من القدس الشريف حيث وضع الامام اول اولوياته هو تحرير القدس من دنس العصابات الصهيونية التي دنست ارض الانبياء وكثيرا ما كان ياخذ في خطاباته نموذجا للنضال والتحدي والجهاد وارخاص الارواح شعب فلسطين الحر المجاهد .

ان ماجاء به الامام الخميني من افكار بات واضحا خلال السنوات القليلة الماضية حيث

بدات قوى الاستكبار تمد اذرعها الخبيثة نحو العالم الحر من اجل السيطرة على الشعوب الحرة والسيطرة عليها وماقامت به من تحديات واضحة بسيطرتها على دول الجوار للجمهورية الاسلامية الايرانية ومحاولة التقرب الى حدودها متوهمة بانها تستطيع ان تطمس منجزات ثورة درسها الامام الخميني (قدس سره) ووضع منهجها ليس لسنوات قليلة وانما ستمتد الى اجيال مادامت هي فيض من عطاء روح الله وولي امره الامام المهدي المنتظر . ان اذرع الشيطان بدات تتوجه بايدي اسلامية كي تحاول كسب ود العالم والاساءة الواضحة من خلال انتهاج بعض المسلمين لفكر ابن تيمية الممزق لفكر الاسلام وعبدالوهاب الذي اعتمد افكار مستر همفر . لكن مع الفكر الاسلامي الرصين الذي وضع منهاجه الامام الخميني (قدس سره) لن يعطي مفتاح الباب الموصد في حب اهل البيت عليهم السلام والذي اعتبر ثورة الامام الخميني امتدادا لثورة ابا الاحرار الامام الحسين عليه السلام .

فسلام عليه يوم ولد ويوم قاد الثورة مدافعا عن حقوق المستضعفين ويوم رحل الى الله محتسبا ويوم يبعث حيا .